

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: 26]

❁ مُنَاسِبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

في مناسبة هذه الآية لما قبلها وجهان:
 الأول: لَمَّا دَعَا اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ إِلَى دَارِ السَّلَامِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:
 ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس: 25]، ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ السَّعَادَاتِ
 الَّتِي تَحْصُلُ لَهُمْ فِيهَا، فَقَالَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾⁽¹⁾.
 الثَّانِي: لَمَّا بَيَّنَّ سَبْحَانَهُ فِي خَتَامِ الْآيَةِ السَّابِقَةِ أَنَّهُ يَهْدِي مَنْ
 يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، أَي: يُوَفِّقُهُ وَيَخْلُقُ فِي قَلْبِهِ الْهَدَايَةَ، وَفُهُمُ
 مِنْ ذَلِكَ أَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَهْدِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُضِلُّهُ، وَأَنَّ الْكُلَّ
 فَاعِلُونَ لِمَا يَشَاءُ، كَأَنَّ أَحَدَهُمْ سَأَلَ: هَلْ هُمْ وَاحِدٌ فِي جَزَائِهِ، كَمَا هُمْ
 وَاحِدٌ فِي الْإِنْقِيَادِ لِمُرَادِهِ؟ فَقِيلَ: لَا، بَلْ هُمْ فَرِيقَانِ: فَبَدَأَ بِالْمُهْدِيِّينَ
 الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِدَعْوَتِهِ وَاتَّبَعُوا صِرَاطَهُ الْمُسْتَقِيمَ، وَمَا أَعَدَّهُ لَهُمْ
 مِنْ حُسْنِ الْعَاقِبَةِ وَالْجَزَاءِ عَلَى إِحْسَانِهِمْ فَقَالَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا
 الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾⁽²⁾.

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿يَرْهَقُ﴾: أَصْلُ الرَّهَقِ: غَشْيَانُ الشَّيْءِ الشَّيْءَ⁽³⁾، تَقُولُ: رَهَقَهُ
 مَا يَكْرَهُ؛ أَي: غَشِيَهُ ذَلِكَ⁽⁴⁾، وَأَرْهَقْتُ الصَّلَاةَ: أَخَرْتُهَا حَتَّى غَشِيَهَا
 وَقْتُ الْأُخْرَى⁽⁵⁾، وَالْمَرْهَقُ: الَّذِي يَغْشَاهُ السُّؤَالُ وَالضَّيْفَانُ⁽⁶⁾،

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 17/240.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 9/104.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رهق).

(4) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (رهق).

(5) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (رهق)، وابن الحداد، كتاب الأفعال: 3/46.

(6) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن سيده، للحكم: (رهق).

عاقبة الذين
استجابوا
لدعوته سبحانه
هي الحسنی
وزيادة

وَالرَّهَقُ أَيُّضًا: الْعَجَلَةُ وَالتَّأْخِيرُ⁽¹⁾، تَقُولُ: رَهَقَ فُلَانٌ فُلَانًا، إِذَا تَبَعَهُ فَقَرَّبَ أَنْ يَلْحَقَهُ⁽²⁾، وَالْمُرَادُ بِالرَّهَقِ فِي الْآيَةِ: الْغَشْيَانُ، أَيِ: يَغْشَى مَعَ ذِلَّةٍ وَتَضْيِيقٍ.

(2) ﴿قَتَرٌ﴾: أَصْلُ الْقَتَرِ: مَا يَغْشَى الْوَجْهَ مِنْ كَرْبٍ⁽³⁾، وَالْقَتَرَةُ: غَبَرَةٌ يَلْعُوها سَوَادٌ كَالدُّخَانِ، وَكَذَلِكَ: مَا يَغْشَى الْوَجْهَ مِنْ غَبَرَةِ الْمَوْتِ وَالْكَرْبِ⁽⁴⁾، وَالْغُبَارُ: ذَرَاتٌ بِالْغَةِ الدَّقَّةُ تَنْفُذُ مِنَ النَّارِ شَيْئًا فَشَيْئًا، لَكِنَّ تَجْمُعَهَا يَجْعَلُهَا طَبَقَةً، نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْهَا⁽⁵⁾، وَالْمَقْصُودُ بِالْقَتَرِ فِي الْآيَةِ: الْغُبَارُ الْمُسَوَّدُ.

(3) ﴿ذِلَّةٌ﴾: الذَّلُّ وَالذِّلَّةُ: مَصْدَرُ الذَّلِيلِ، وَأَصْلُهُ: الضَّعْفُ، وَالْهَوَانُ، وَالِاسْتِكَانَةُ⁽⁶⁾، وَضِدُّهُ: الْعِزُّ وَالْقُوَّةُ، يُقَالُ: ذَلَّ يَذِلُّ ذُلًّا وَذِلَّةً وَذِلَالَةً وَمَذِلَّةً إِذَا ضَعُفَ وَهَانَ، فَهُوَ ذَلِيلٌ⁽⁷⁾، وَالْجَمْعُ: أَذِلَّةٌ، وَيُطْلَقُ عَلَى التَّذَلُّلِ، فَيُقَالُ: ذَلَّ وَتَذَلَّلَ، أَيِ: هَانَ، وَضِدُّهُ: الصُّعُوبَةُ، يُقَالُ: ذَلَّ الشَّيْءُ، أَيِ: سَهَلَ وَلَانَ⁽⁸⁾، وَالدَّلُولُ: السَّهْلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ⁽⁹⁾، وَيَأْتِي بِمَعْنَى الْخُضُوعِ وَالِانْقِيَادِ، وَتَذَلَّلَ لَهُ، أَيِ: خَضَعَ⁽¹⁰⁾. وَالْمَقْصُودُ بـ ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾ فِي الْآيَةِ: الْهَوَانُ الَّذِي يَبْدُو عَلَى وَجْهِ الذَّلِيلِ.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُيِّنُ اللَّهُ ﷻ أَنَّ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي الدُّنْيَا بِالْإِيمَانِ، وَأَحْسَنُوا فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ؛ امْتِثَالًا لِأَمْرِهِ، وَاجْتِنَابًا لِنَهْيِهِ، عَلَى وَجْهِ الْمُرَاقَبَةِ لَهُ

بقدر إحسانك
في الدنيا تكون
منزلتك في الجنة
وزيادة

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رهق).

(2) الخليل، العين: (رهق)، وابن سيده، المخصص: 4/96.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قتر).

(4) الخليل، العين، وابن عباد، المحيط في اللغة، والزَّاعِب، والفردات، والزَّيْدِي، تاج العروس: (قتر).

(5) جبل، المعجم الاشتقاقيِّ للوُضَل: (قتر).

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ذل).

(7) ابن سيده، المحكم: (ذل).

(8) الزَّيْدِي، تاج العروس: (ذل).

(9) اللُّخْمِي، شرح الفصيح، ص: 110.

(10) الأزهرِّي، تهذيب اللغة: (سكن).

سُبْحَانَهُ، وَأَحْسَنُوا إِلَى عِبَادِ اللَّهِ تَعَالَى؛ هَؤُلَاءِ لَهُمُ الْجَنَّةُ، وَلَهُمْ زِيَادَةٌ عَلَى ذَلِكَ، وَأَعْظَمُ أَنْوَاعِهَا: النَّظَرُ إِلَى وَجهِ اللَّهِ ﷻ، وَلَا يَفْشَى وَجُوهَهُمْ غُبَارٌ وَلَا هَوَانٌ وَلَا صَغَارٌ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا مَكْتُونٌ أَبَدًا⁽¹⁾.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

دلالة اللام في المطاع في: ﴿لِلَّذِينَ﴾:

(اللام) في قوله: ﴿لِلَّذِينَ﴾ حرف جرٍّ للملك أو الاختصاص، أي: يعطيهم الله الجزاء عطاءً موفوراً لأجل إحسانهم⁽²⁾.

العطاء لأجل
الإحسان

وجه التعبير بالاسم الموصول: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾:

عبر البيان القرآني بالاسم الموصول ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ في تعريفهم، ولم يقل: (والمحسنون لهم الحسنى)؛ لفائدتين؛ الأولى: لأنَّ الاسم الموصول يدلُّ على العموم، فالتعبير به يشمل كلَّ مَنْ ثَبَتَ له هذه الصِّلة ﴿أَحْسَنُوا﴾، والمعنى: كلُّ مَنْ أَحْسَنَ له الحسنى وزيادة. والثانية: لأنَّ في الموصول إيماءً إلى أَنَّ سببَ فوزهم بالحسنى هو إحسانهم في الحياة الدُّنيا.

كلُّ مَنْ أَحْسَنَ
فله الحسنى
وزيادة

سِرُّ التعبير عن الإحسان بالماضي: ﴿أَحْسَنُوا﴾:

عبر البيان الإلهي بفعل: ﴿أَحْسَنُوا﴾ بصيغة الماضي دون المضارع؛ للدلالة على تحقُّق وقوعه، أي: وقوع فعل الإحسان منهم، باعتبار عِلْمِهِ سُبْحَانَهُ بإحسانهم، وما سبق في قضاء الله لهم بالهداية، وفي هذا مناسبة لما ذُكر في الآية قبلها: ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ فَمَنْ أَحْسَنُوا هُمْ مَنْ كَتَبَ اللَّهُ لَهُمُ الْهَدَايَةَ، فكان إحسانهم مُتَحَقِّقًا، واستَحَقُّوا الحسنى؛ جزاءً على إحسانهم.

الإحسان واقعٌ
مُتَحَقِّقٌ مِمَّنْ
كتب الله لهم
الهداية

(1) ابن جرير، جامع البيان: 12/156، 164، والواحدي، التفسير البسيط: 11/170، والبعوي، معالم التنزيل: 2/417، وابن عطية، للحرر الوجيز: 3/115، 116، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 8/330.

(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3552.

دلالة واو الجماعة في ﴿أَحْسَنُوا﴾:

الترغيب
بالإحسان كونه
صفة أهل الجنة

أتى البيان القرآني بالفعل (أحسن) بإضافة واو الجماعة ﴿أَحْسَنُوا﴾؛ ليناسب الجمع في الاسم الموصول ﴿لِلَّذِينَ﴾، ويناسب إرادة العموم فيه، وللإشارة إلى كثرة عدد المحسنين، والترغيب في الإحسان الجماعي الذي يؤدي إلى رفعة الأمة ورقيتها، وفي هذا إيذان باشتراك جميع أهل الجنة بالإحسان؛ فكلُّ منهم أحسن في نوع من أنواع الإحسان، فأفعال الإحسان متنوعة، ورحمة الله بعباده واسعة.

بلاغة حذف مفعول ﴿أَحْسَنُوا﴾:

الإبهام الحاصل
في الحذف يدل
على تنوع أعمال
الإحسان منهم

إنَّ حذف مفعول ﴿أَحْسَنُوا﴾ في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ **الْحُسْنَى**، يُفصِّح عن حالهم المستغرق في الإحسان، ويؤذن بالعموم، فيعمُّ كلَّ نوع من أنواع الإحسان الذي فعلوه، وهذا أبلغ من ذكر المفعول به؛ لأنه يؤدي إلى تخصيص الإحسان بفعل واحد من إحسانهم فيما بينهم وبين ربهم؛ بتوحيده وعبادته، أو إحسانهم فيما بينهم وبين خلقه؛ بجميع أنواع الإحسان إليهم، من الإحسان القولي، والفعلّي، (المالي والبدني)، وغير ذلك من وجوه الإحسان، والتخصيص مُخلٌ بالإفصاح عن مكنون حالهم، ورفيع خصالهم؛ فقد أحسنوا كلَّ إحسان حتى استحقوا لقب المحسنين.

سر التعبير بـ ﴿الْحُسْنَى﴾:

جزاء المحسنين
الجنة الكاملة في
حُسنها، البالغة
أعلى درجات
الحُسن

﴿الْحُسْنَى﴾: على وزن (فُعْلَى)، مؤنث الأحسن، والعرب توقع هذه اللفظة على الحالة المحبوبة، والخصلة المرغوب فيها، ولذلك لم تُؤكَّد ولم تُتَعَت بشيء⁽¹⁾، وقيل: الحُسْنَى صفة لمصدر محذوف، تقديره: المثوبة الحُسْنَى⁽²⁾، أو الخصلة التي هي في غاية الحُسْن من

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 17/240.

(2) الزمخشري، الكشاف: 2/342، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السليم: 4/138.

الجزاء⁽¹⁾، والأكثرُونَ على أَنَّ الحُسْنَى في هذا الموضع صفةٌ غالبَةٌ، أصبحت كالعَلَمِ على المقصود بها، وهي الجَنَّةُ ونعيمُها مِنْ حصول المِلَادُ العظيمة، ولا تنافي بينَ الأقوال؛ إذِ الجَنَّةُ هي أحسنُ جزاءٍ وأحسنُ مثوبةٍ يصير إليها الذين أحسنوا⁽²⁾.

وقد أفاد التعبير بصيغة (فُعَلَى) المبالغة في الوصف، إذ صيغة (فُعَلَى) تدلُّ على قوَّة الوصف؛ لأنَّها مؤنَّثُ أَفْعَل⁽³⁾، وهنا أفادت المبالغة في وصف الجَنَّة، فهي البالغة أعلى درجات الحُسْن؛ إذ تزيد في الحُسْن على إحسانهم، وهي مأوى كُلِّ حَسَنٍ على أفضل وجه، وهي الجزاء الأحسن الذي بلغ أعلى درجات الكمال في الحُسْن، فلا شيء أحسن منها إلَّا الزيادة المذكورة بعدها⁽⁴⁾.

نوع (أَل) في لفظ «الْحُسْنَى»:

(أَل) في قوله: «الْحُسْنَى» تحتل أن تكون جنسيَّةً استغراقيةً؛ تُفيدُ العمومَ، والمعنى: للذين أحسنوا جنسُ الأحوال الحُسْنَى عندهم، أي: لهم ذلك في الآخرة⁽⁵⁾، وتحتل أن تكون عهديةً، والمعهود فيها إمَّا ذِكْرِيٌّ انصرف إلى المعهود السابق، وهو دار السَّلام، وإمَّا ذِهْنِيٌّ؛ إذِ المعروفُ بينَ المسلمين والمتقرِّرينَ بينَ أهل الإسلام مِنْ هذه اللَّفظة هو الجَنَّة، وما فيها مِنْ المنافع والتَّعظيم، وما أعدَّه اللهُ تعالى لعباده فيها⁽⁶⁾.

بلادة تقديم الخبر: «لِلَّذِينَ»:

قدَّم البيانُ القرآنيُّ الخبرَ «لِلَّذِينَ» على المبتدأ «الْحُسْنَى»؛ لإفادة الحَصَر في الخبر، وهو اختصاصُهم بالحسنى، أي: هي

الحسنى هي
مَجْمَعُ كُلِّ
المنافع، ومأوى
كُلِّ حَسَنٍ

الحُسْنَى جزاءً
خاصَّ بالمحسنين
الذين استحقَّوه
بإحسانهم

(1) البقاعي، نظم الدرر: 3/434.

(2) أبو حيان، البحر المحيط: 6/43.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/282.

(4) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: 1/411، والهرري، حقائق الرِّوح والزَّيْحان: 12/213.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/146.

(6) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 17/240، والنَّيسابوري، غرائب القرآن: 3/575.

للذين أحسنوا خَصَّة، وليست لغيرهم، وكذلك للاهتمام بالخبر، وهم الذين أحسنوا، والتَّنبِيهِ على أَنَّ إحصانهم هو مَنْ أوصلهم إلى الجنَّة، وأنَّ إحصانهم أسبقُ مِنْ دخولهم الجنَّة، فاستحقَّوا الحُسنى جزاءً على إحصانهم، وفي هذا مزيدٌ مِنَ التَّغْيِبِ وتحفيزِ الهَمِّ لفعل الإحصان؛ ليكونوا مِنَ المستحقِّين لهذا الجزاء الحَسَن.

بلاغة الجناس الاشتقائي في ﴿أَحْسِنُوا الْحُسْنَى﴾:

في قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى﴾ أتى البيان القرآني بلفظ: ﴿أَحْسِنُوا﴾، ولفظ: ﴿الْحُسْنَى﴾، وقد اجتمعتا في الأصل الاشتقائي، وهو (حسن)، وهذا يُسمَّى جناسَ الاشتقاق المُماثل، وفي هذا التَّعبير لونٌ مِنَ ألوانِ البديع، جاء على أحسن صورة، وأجمل موقع، والمناسبة بين لفظي: أحسنوا، والحسنى، فيه دلالة على أنَّهم استحقَّوا الحسنى على إحصانهم، أي: جزاؤهم يكون مِنْ جنس عملهم.

بيان معنى الزيادة في: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾، ووجه التَّعبير بها:

ذكر المفسِّرون في معنى الزيادة في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ عدَّة معانٍ، منها: أنَّها ما يزيدُ على تلك المثوبة تفضلاً، فالحسنى: مثلُ حسناتهم، والزيادة: عَشْرُ أمثالها إلى سبعمائةٍ ضِعْفٍ وأكثر، أو أنَّها مغفرةٌ مِنَ اللَّهِ ورضوانٌ، أو أنَّها غُرْفَةٌ مِنَ لَوْلُؤَةٍ واحدةٍ لها أربعة أبواب⁽¹⁾. أو أنَّها اللِّقاءُ، أي: رؤية المحسن والنَّظر إلى وجهه الكريم سبحانه⁽²⁾، وروى مسلمٌ في صحيحه عن صهيب عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «إذا دخل أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، قال الله ﷻ: تريدون شيئاً أزيدُكم؟ فيقولون: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجنَّةَ وَتُنْجِنَا مِنَ النَّارِ؟ قال: فيكشفُ الحجابَ، فما أعطوا شيئاً

استحقَّوا
الحسنى لأجل
إحصانهم،
فالجزءُ مِنَ
جنسِ العمل

عطاء العظيم
عظيم لا تُقدِّره
العقول، ولا
تتصوِّره الأفهام
والأوهام

(1) ابن جرير، جامع البيان: 69/15 - 70.

(2) أبو السَّعود، إرشاد العقل السليم: 4/138.

أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷺ⁽¹⁾، وتفسيرُ الزَّيَادَةِ برؤية الله تعالى، هو قول الجمهور مِنَ السَّلَفِ والخَلْفِ⁽²⁾.

والزَّيَادَةُ: أَنْ تَمَرَ السَّحَابَةُ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ فتقول: ما تريدون أَنْ أُمْطِرَكُمْ؟ فلا يريدون شيئاً إِلَّا أَمْطَرْتَهُمْ⁽³⁾. ولا تنافي بين كل هذه المعاني، ولا مانع مِنَ الْجَمْعِ بينها، فتشمل الزَّيَادَةُ كُلَّ هذه المعاني، ويمَنَّ الله تعالى عليهم بكلِّ ما ذُكِرَ، ويصدق عليه أَنَّهُ زِيَادَةٌ عَلَى مَا مَنَّ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْجَنَّةِ⁽⁴⁾، إِذِ التَّعْبِيرُ بلفظة (زِيَادَةٌ) التي هي مصدر بمعنى الزَّائِدِ مطلقاً، حيثُ جاءت نكرةً ومُبْهَمَةً، فأفادتِ العمومَ، كما أفاد هذا التَّنْكِيرُ والإِبْهَامُ التَّفْخِيمَ⁽⁵⁾ والتَّكْثِيرَ والتَّعْظِيمَ لهذه الزَّيَادَةِ، أيًّا كان المعنى الذي قُسرَ بها.

وفي هذا التَّعْبِيرُ إشارةٌ إِلَى أَنَّ عَطَاءَ اللَّهِ لَهُمْ ليس بمقدار إحسانهم؛ لِأَنَّهُ سَبْحَانَهُ الْمُتَفَضِّلُ الْمُكْرِمُ، الذي لَا يُعْطِي بمقدار ما قُدِّمَ، بل إِنَّهُ كما قال تعالى: ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ النساء: 173⁽⁶⁾، والعطاءُ مِنَ العَظِيمِ يكون عَظِيماً؛ فهذه الزَّيَادَةُ لَا تُقَدِّرُهَا العقولُ، وَلَا تَدْرِكُهَا وَلَا تَصَوِّرُهَا الأفهامُ والأوهامُ؛ كقوله ﷺ: «ما لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»⁽⁷⁾.

دلالة الواو في: ﴿وَزَيْادَةً﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَزَيْادَةً﴾ هي واو العطف، دَلَّتْ عَلَى مُطْلَقِ الْجَمْعِ بَيْنَ الْحُسْنَى وَالزَّيَادَةِ، فِي أَنَّ كُلِيهِمَا جَزَاءٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى

إِكْرَامُ الْمُحْسِنِينَ
بِنَعِيمٍ زَائِدٍ
عَلَى جَزَائِهِمْ
بِالْحُسْنَى مِنْ
عَظِيمِ فَضْلِ
اللَّهِ عَلَيْهِمْ

(1) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ﷺ، الحديث رقم: (368).
(2) ابن جرير، جامع البيان: 62/15 - 68، والقرطبي، أحكام القرآن: 8/330.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 17/241.
(4) الألوسي، روح المعاني: 6/97.
(5) القونوي وابن التَّجَمِيد، حاشية على تفسير البضاوي: 9/439.
(6) أبو زهرة، زهرة التِّفَاسِير: 7/3552.
(7) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: قَوْلُهُ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُوَّةٍ أَعْيَنَ﴾، الحديث رقم: (4780).

للمُحْسِنِينَ، فقد أكرمهم الله تعالى بنعيم الجنة، وتفضل عليهم بزيادة مِنَ النِّعَمِ، واستدلَّ بعضُ المفسِّرين بالعطف على المغايرة بينَ الحُسْنَى والزَّيَادَةِ، يقول الرَّاذِي: "يكون المرادُ مِنَ الزَّيَادَةِ أَمْرًا مُغَايِرًا لكلِّ ما في الجنة مِنَ المنافع والتَّعْظِيمِ، وإلَّا لَزِمَ التَّكَرُّارُ، وكلُّ مَنْ قال بذلك قال: إنَّما هي رؤية الله تعالى، فدَلَّ ذلك على أنَّ المراد من هذه الزَّيَادَةِ: الرَّؤْيَةُ"⁽¹⁾.

وأَيًّا كان تفسير الزَّيَادَةِ فقد دَلَّ العطفُ على إكرام المحسنين بنعيم زائد على جزائهم بالحُسْنَى، وهذا مِنْ كَرَمِ الله تعالى، وعظيم فضله وإنعامه عليهم.

دلالة الواو في: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ﴾:

الواو بين العطف
والاستئناف

الواو في قوله: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ﴾ تحتلُّ أن تكون للاستئناف، والجملة مُسْتَأْنَفَةٌ لبيان أَمْنِهِمْ مِنَ المكاره، إثر بيانِ فَوْزِهِمْ بالمطالب، والثَّانِي وإن اقتضى الأوَّلُ إلَّا أَنَّهُ ذُكِرَ تذكيرًا بما ينقذهم الله تعالى منه برحمته⁽²⁾.

وتحتلُّ أن تكون عاطفة، وجملة ﴿يَرْهَقُ﴾ معطوفة على الحسنى، على تقدير (أَنْ)، والمعنى: (ولا أن يرهق وجوههم)، وهي عطف جملة فعلية على اسمية، أو عطف مصدرها على الحسنى على تقدير: (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة، وانتفاء رَهَقِ وُجُوهِهِمْ قَتْرًا)⁽³⁾، وفي ذلك مزيد تفضُّل وإكرام، بإتباع صورِ التَّعَمُّعِ بنفي مشاهد المكاره.

نُكْتَةُ تَخْصِصِ الْوَجْهِ بِالذِّكْرِ: ﴿وُجُوهَهُمْ﴾:

الوجه أشرف
أعضاء الإنسان،
وسبيل تَبَيُّنِ أثرِ
تغيير المشاعر

خَصَّ البَيَانُ الإلهيَّ الوجهَ دونَ غيره مِنَ الأعضاء في قوله: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ﴾؛ لأنَّه أشرفُ الأعضاء، فالوجهُ هو مكانُ تَشْرِيفٍ،

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 17/240.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/138.

(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 4/236.

وكذلك لظهور أثر السُرور والحزن فيه، فإذا وقع بالإنسان مكروهٌ تبَيَّن ذلك في وجهه، وتغيَّر وتكدَّر، فأوَّل ما يُشاهد من الإنسان وَجْههُ، فَيَعْرِف بحاله المجرمون والمطيعون، فدلَّ نَفْي القَتْرِ والذَّلَّة عن الوجوه على انتفاء أَنْ ينالهم مكروهٌ بوجه من الوجوه، ومن ثَمَّ نَفْي ما يَعْرِض لهم من سوء الحال⁽¹⁾.

وفي تخصيص الوجوه تنبيهٌ على إكرام وجوههم بالنظر إلى وجه الله، على تفسير معنى الزيادة بالنظر إلى وجه الله، فهذه الوجوه النَّاظرة إلى وجه الله جديرٌ بها أَنْ لَا يَرَهَقَهَا قَتْرُ البُعد، ولا ذَلَّةُ الحِجاب، عكس المحرومين المحجوبين⁽²⁾.

سِرُّ تقديم المفعول على الفاعل:

قدَّم البيانُ الإلهيُّ المفعولَ: ﴿وُجُوهُهُمْ﴾ على الفاعل: ﴿قَتْرٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرَهَقُ وَجُوهُهُمْ قَتْرٌ﴾؛ لعدَّة أمور؛ أوَّلها: الاهتمام ببيان أَنَّ المصونَ من الرَّهَق أشرفُ أعضائهم، وهي الوجوه. وثانيها: التَّشويق إلى المؤخَّر، أي: الفاعل ﴿قَتْرٌ﴾، فَإِنَّ ما حَقَّه التَّقْدِيمُ إذا أُخِّرَ تبقى النَّفْسُ مترقِّبةً لوروده، فعند وروده عليها يتمكَّن عندها أفضلُ تمكَّن. وثالثها: لأنَّ في الفاعل ضربَ تفصيل ﴿قَتْرٌ وَلَا ذَلَّةٌ﴾، كما في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: 22]⁽³⁾.

علة التعريف بالإضافة في: ﴿وُجُوهُهُمْ﴾:

أتى البيانُ الإلهيُّ بلفظ الوجوه مُعرِّفةً بالإضافة في قوله: ﴿وَلَا يَرَهَقُ وَجُوهُهُمْ قَتْرٌ وَلَا ذَلَّةٌ﴾، حيث أضاف الوجوه إلى ضمير (هم)، العائد إلى (الذين أحسنوا)؛ لِيُفِيدَ التَّعْيِينَ والاختصاص والاستحقاق، أي: تعيينَ وجوهِ المحسنين خاصَّةً، وأنَّ القَتْرَ لا

جديرٌ بالوجوه
المشرَّقة بالنظر
إلى وجهه تعالى
أَنْ لَا يصيبها قَتْرٌ

وجوهُ المحسنين
أشرفُ
أعضائهم، وهي
مصونةٌ من
الرَّهَق والذَّلَّة

وجوهُ المحسنين
خاصَّةً استحقَّت
هذا التَّكْرِيمَ
بنفْي القَتْرِ
والذَّلَّة عنها

(1) أبو حَيَّان، البحر المحيط: 6/44، والسَّعْدِيُّ، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 362.

(2) القاسمي، محاسن التَّأويل: 6/20.

(3) أبو السَّعُود، إرشاد العقل السَّليم: 4/138.

يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ، فيكون في ذلك مزيدٌ اختصاصٍ وإنعامٍ عليهم، دونَ غيرهم، وأنَّ هذه الوجوهَ المحسنةَ استَحَقَّتْ هذا التَّكْرِيمَ لإحسانهم، وفي هذا تعريضٌ بأنَّ وجوهَ الكافرين لا تستَحِقُّ ذلك، فيَرْهَقُهَا قَتَرٌ وَذَلَّةٌ.

نُكْتَةُ تَنْكِيرٍ «قَتَرٌ وَلَا ذَلَّةٌ»، وتَنْوِينُهُمَا:

من كمالِ جزاءِ
للحَسَنِينَ نَفْيُ
أدنى قَتَرٍ أو ذَلَّةٍ
عن وجوههم

أتى البيانُ القرآنيُّ بلفظِ «قَتَرٌ وَلَا ذَلَّةٌ» في قوله تعالى: «وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذَلَّةٌ» بصيغة النكرة، وكذلك التَّنْوِينُ؛ لِتَحْقِيرِ أيِّ شيءٍ منهما⁽¹⁾، فذلٌّ على خُلُوصِهَا⁽²⁾؛ إذِ النِّكْرَةُ في سياقِ النَّفْيِ تُفِيدُ العمومَ، أي: نَفْيُ أيِّ شيءٍ مِنَ القَتَرِ والذَّلَّةِ مهما كان قليلاً.

وفي هذا التَّنْكِيرِ والتَّنْوِينِ للفظَتَيْنِ في سياقِ النَّفْيِ الذي أفادَ التَّحْقِيرَ والتَّكْثِيلَ، مبالغةً في نَفْيِ أيِّ قَتَرٍ أو ذَلَّةٍ تَرْهَقُ وجوهَ المحسنين، وأنَّه لا يجوزُ عليهم ما إذا حصلَ غَيْرُ صَفْحَةِ الوجهِ، وأزال ما فيها مِنَ النَّضَارَةِ والطلاقة.

سِرُّ عَطْفِ الذَّلَّةِ عَلَى الْقَتَرِ: «قَتَرٌ وَلَا ذَلَّةٌ»:

من تَكْرِيمِ الله
لِلْمُحْسِنِينَ أَنَّ
نَعِيمَهُمْ غَيْرُ
مَشُوبٍ بِأَيِّ
مَكْرُوهٍ

عطف القرآن لفظ «ذَلَّةٌ» على «قَتَرٌ» في قوله تعالى: «وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذَلَّةٌ»؛ لِئَنفِي هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ، والغَرَضُ مِنْ ذَلِكَ "نَفْيُ أسبابِ الخوفِ والحُزَنِ والذُّلِّ عنهم؛ لِيَعْلَمَ أَنَّ نعيمهم الذي ذَكَرَهُ اللهُ تعالى خالِصٌ غَيْرُ مَشُوبٍ بِالمَكْرُوهَاتِ"⁽³⁾، إذ بالعطف يحصلُ الجمعُ بين نفي القَتَرِ؛ وهو الغَبْرَةُ التي تَغْشَى جِلْدَةَ الوجهِ مِنْ شِدَّةِ البُؤْسِ والشَّقَاءِ والخُوفِ، وبين نَفْيِ الذَّلَّةِ؛ وهي الهوان، وأثره الذي يبدو على وجه الدَّلِيلِ مِنَ الْخُضُوعِ والانكسار، وفي هذا الجمع الذي أفاده العطفُ دلالةٌ على نفي كُلِّ أنواعِ المَكْدَرَاتِ، بنفي

(1) أبو السَّعُود، إرشاد العقل السليم: 4/138.

(2) الخفاجي، عناية القاضي: 5/21.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 17/241.

آثارهما عن وجوه المحسنين، فهم مَصُونُونَ عن الآفات، ولا يَلْحَقُهُمْ ما يَلْحَقُ وجوهَ أهل النار، وهذا من تكريم الله للمحسنين في الجنة، وزِيدَتْ (لا) في قوله: ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾ تأكيداً للنفي، وتبهيها على أن كل واحدٍ منهما منفى، لا المجموعُ من حيث المجموع⁽¹⁾.

بلغة الكناية في الآية الكريمة:

نفى البيانُ القرآني القَتْرَ والذِّلَّةَ عن وجوه المحسنين في قوله: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهُهُمْ قَتْرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾، كناية عن عدم الألم والتأذي لأصحاب هذه الوجوه؛ لأنَّ عدمَ غَشْيَانِ ذلك لازمٌ لعدم غشيان ما يوجبُهُما، فذكر اللازمَ لِيُتَنَقَّلَ منه إلى الملزوم⁽²⁾، يُقال للكئيب الحزين: كأنَّ على وجهه قَتْرًا وذِلَّةً؛ كناية عن الشدَّة التي تُصيبُه، فتَظْهَرُ آثارُها في وجهه، فينطفئُ بريقُه، ويَجِفُّ ماءُ الحياة منه، وقيل لهم ذلك كناية عن حصول غايةِ مباغيهم، ونهايةِ سرورهم، وحُلُوصِ نعيمهم من شوائب المكاره؛ لأنَّ الجنةَ مع نعيمها ومَلَذَّاتها - عند العارف إذا لم يظفر بتلك النعمة الكبرى - مكانٌ حُزْنٍ وكآبة⁽³⁾. قال الطَّبْرِيُّ: "لا يغشى وجوههم كآبةٌ، ولا كُسُوفٌ، حتى تصيرَ مِنَ الحُزْنِ كأنما علاها قَتْرٌ"⁽⁴⁾.

نفى آثار القتر
والذِّلَّةَ عن
الوجوه، يلزم
منه نفى ما
يوجبهما

ويرى ابن عاشور أنَّ الكلام في الآية مستعملٌ في صريحه وكنايته، أي لا تتشوه وجوههم بالقتر وأثر الذِّلَّة، ولا يحصل لهم ما يؤثر القتر وهيئة الذِّلَّة⁽⁵⁾، أي لا يحصل لهم إهانة في الباطن ولا في الظاهر⁽⁶⁾.

بلغة التعريض في نفى القتر والذِّلَّة:

نفى البيانُ الإلهي القَتْرَ والذِّلَّةَ عن وجوه المحسنين في قوله

إنقاذ المحسنين
من إرهاب
الوجوه ابهاج
ومسرة لهم،
وغم وخسرة
للكافرين

(1) القونوي وابن التَّجَمِيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 9/440.

(2) الألويسي، روح المعاني: 6/97.

(3) الطَّبْيِيُّ، فتوح الغيب: 7/469، وعبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 6/994.

(4) ابن جرير، جامع البيان: 15/72.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/147.

(6) الرُّحَيْلي، التفسير النُّبَر: 11/154.

تعالى: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾، مع أن ذلك لا يخطر بالبال وقوعاً، بعد أن أثبت الله لهم الحُسنى وزيادة، وإنما ذكره لأنه لازم من لوازم الجزاء الحسن الذي جوزوا به، فلم يكن هذا مديحاً لهم، بل المعنى: التعريض بالكافرين الذين لم يَهْدِهِمُ الله إلى الصراط المستقيم، وهم الذين كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ تَعْجِيلاً لِلْمَسَاءَةِ إِلَيْهِمْ، بطريق التعريض قبل التصريح، الذي يأتي في قوله: ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ [يونس: 27] (1).

وليذكر أهل الجنة بما أنقذهم الله منه، وهو إرهاق وجوههم، أي: غَشِيَانُهَا غَبْرَةً فِيهَا سَوَادٌ، بسبب رحمته، وأنهم في عافية ممَّا يَحِلُّ بالكافرين من عذاب ونكال، فإنهم إذا ذكروا ذلك زاد فرحهم وابتهاجهم ومسرَّتُهم، كما أن أهل النار إذا ذكروا ما فاتهم من النعيم المقيم ازداد غمُّهم وحسرتُهم (2).

بلغة حذف حالهم في: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾:

الاكتفاء بنفي
القَتَرِ والذِّلَّةِ عن
وجوه المحسنين
أبلغ وأدل على
تكرمهم

اكتفى القرآن بتخصيص نفي القَتَرِ والذِّلَّةِ عن وجوه المحسنين في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾، ولم يذكر حالهم كما ذكره في الكافرين في الآية بعدها بقوله: ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾، إظهاراً للفارق الكبير بين الذين أحسنوا وبين الذين كسبوا السيئات؛ إذ نفى عن المحسنين أدنى مكروه يُصيبهم، من خلال نفيه أي قَتَرٍ أو ذِلَّةٍ تَظْهَرُ على وجوههم، وهذا أبلغ من نفي القَتَرِ والذِّلَّةِ عن حالهم، فكان عدم ذكر حالهم تكريماً وتشريفاً لهم، وإشارةً إلى عظيم فضله سبحانه عليهم، و"ترغيباً للتوبة، وتشويقاً للطاعة" (3).

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/147، وعبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 6/995.

(2) الطَّبِيُّ، فتوح الغيب: 7/469، والآلوسي، روح المعاني: 6/98.

(3) القنوني وابن التمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 9/445.

وَجْهَ التَّعْبِيرِ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ لِلْبَعِيدِ فِي: ﴿أُولَئِكَ﴾:

استَعْمَلَ اسْمَ الْإِشَارَةِ ﴿أُولَئِكَ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾، حَيْثُ اخْتَارَ مَا يُشَارُ بِهِ إِلَى الْبَعِيدِ، مَعَ أَنَّ الْمَشَارَ إِلَيْهِ قَرِيبٌ، وَهُمْ الَّذِينَ أَحْسَنُوا، تَعْظِيمًا وَتَفْخِيمًا وَتَشْرِيفًا لَهُمْ، حَتَّى أَصْبَحَ يُشَارُ إِلَيْهِمْ بِالْإِشَارَةِ الْحَسَنَةِ الَّتِي لِلْبَعِيدِ، وَفِي هَذَا إِذَا نْ بَعُودُ دَرَجَتِهِمْ، وَسُمُّو طَبَقَتِهِمْ، وَبُعْدُ مَنْزِلَتِهِمْ ارْتِفَاعًا، أَيْ: أُولَئِكَ الْمَوْصُوفُونَ بِمَا ذُكِرَ مِنَ النُّعُوتِ الْجَمِيلَةِ، الْفَائِزُونَ بِالْمَثُوبَاتِ، النَّاجُونَ مِنَ الْمَكَارِهِ، هُمْ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدُونَ فِيهَا، وَأَنْتَهُمْ اسْتَحَقُّوا هَذَا لِأَجْلِ إِحْسَانِهِمْ⁽¹⁾.

الإشارة بالبعيد
تنبيه على علو
مرتبة المحسنين
وبعد درجتهم

نُكْتَةُ اخْتِيَارِ لَفْظِ الْأَصْحَابِ وَجَمْعِهِ:

اخْتَارَ الْبَيَانُ الْقُرْآنِيُّ لَفْظَ الْأَصْحَابِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾، دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُرَادِفَةِ لَهُ؛ لِأَنَّ هَذَا اللَّفْظَ مِنْ دَلَالَاتِ تَمَيِّزِهِ مِنْ غَيْرِهِ؛ إِذِ الصُّحْبَةُ تَدُلُّ عَلَى الْمِلَاظِمَةِ، فَهْمٌ مَلَاظِمُوهَا وَمَلَايَسُوهَا، بِحَيْثُ لَا يَفَارِقُونَهَا، فَسَكَنَاهُمْ فِيهَا وَمَقَامَهُمْ فِيهَا، وَفِي الصُّحْبَةِ مَعْنَى الْوَصْلَةِ، فَسُمُّوا أَصْحَابَهَا لِاتِّصَالِهِمْ بِهَا، وَلَكُونَهُمْ فِيهَا، وَلِدَوَامِ بَقَائِهِمْ فِيهَا، كَأَنَّهُمْ مَلَكُوهَا فَصَارُوا أَصْحَابَهَا، وَفِي وَصْفِهِمْ بِأَنَّهُمْ أَصْحَابُهَا إِشَارَةٌ إِلَى التَّمَكُّنِ لَهُمْ مِنْ كُلِّ مَا فِيهَا مِنْ نَعِيمٍ، بِوَصْفِهِمْ أَصْحَابُهَا الْمَالِكُونَ لَهَا، يَتَصَرَّفُونَ فِيهَا تَصَرُّفَ الْمَالِكِ فِيهَا مَلِكٍ، مِنْ غَيْرِ مَرَاجَعَةٍ أَوْ حِسَابٍ، كَمَا يَقُولُ ﷺ لَهُمْ: ﴿تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 43]، كَمَا أَنَّ لَفْظَ (أَصْحَاب) جَاءَ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ (جَمْعُ تَكْسِيرٍ)؛ لِمُوَافَقَةِ أَلْفَاظِ الْآيَةِ الَّتِي أَتَتْ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ (أَحْسَنُوا، وَجُوهَهُمْ، أُولَئِكَ، هُمْ، خَالِدُونَ)، وَلِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ جَمِيعَ الْمُحْسِنِينَ هُمْ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ، وَكَذَلِكَ لِلْإِشَارَةِ إِلَى وُجُودِهِمُ الْجَمَاعِيِّ فِيهَا، الَّذِي يَبْعَثُ عَلَى

الحسنون
ملازمون للجنة،
متمكنون من
كل ما فيها من
نعيم

(1) أبو الشعود، إرشاد العقل السليم: 4/138.

المزيد مِنَ السُّرُورِ، فَمِنْ أَحَدِ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ لِلإِنْسَانِ: وَجُودُ مَنْ يَشَارِكُهُ سَعَادَتَهُ، وَيَأْنَسُ بِهِ.

فهذا الوصفُ وهذا الاختصاصُ وهذا الجمعُ (أصحاب الجنة)، هو فضلُ مِنَ اللَّهِ وإحسانٌ وتكريمٌ، ومزيدٌ تشريفٍ، وسعادةٌ لهم⁽¹⁾.

نُكْنَةُ إِضَافَةِ الْأَصْحَابِ إِلَى الْجَنَّةِ:

أضاف القرآنُ لفظَ (الأصحاب) إلى الجنةِ في قوله: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ على جِهَةِ المدح والتَّعْظِيمِ والتَّشْرِيفِ لهم، وإشارةً إلى أَنَّهُمْ مُسْتَحَقُّوْهَا وَأَصْحَابُهَا حَقًّا وَبِاسْتِجَابٍ، وَإِلَى تَمَكُّنِهِمْ وَإِقَامَتِهِمْ فِيهَا إِقَامَةً الْمَالِكِ الْمُتَصَرِّفِ بِمِلْكِهِ⁽²⁾.

سِرُّ تَعْرِيفِ الْجَنَّةِ بِالْأَصْحَابِ:

أتى لفظُ الجنةِ في قوله: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ معرفًا بـ (أل) الْعَهْدِيَّةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ مَعْهُودَةٌ وَمَعْرُوفَةٌ لَدَى الْمُحْسِنِينَ، فَهِيَ دَارُ الْجَزَاءِ وَالنَّعِيمِ، وَهِيَ جَنَّةُ الْخُلْدِ، وَالْعَهْدُ فِيهَا إِمَّا ذِهْنِيٌّ، وَإِمَّا ذِكْرِيٌّ يَعُودُ إِلَى لَفْظِ الْحُسْنَى فِي الْآيَةِ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى﴾ أَوْ ﴿دَارِ السَّلَامِ﴾ فِي الْآيَةِ قَبْلَهَا، وَهَذَا يَنَاسِبُ لَفْظَ (أَصْحَابِ)، إِذْ كَيْفَ لَا تَكُونُ مَعْرُوفَةً لَدَيْهِمْ وَهُمْ أَصْحَابُهَا؟ فَهَلْ هُنَاكَ صَاحِبُ دَارٍ لَا يَعْرِفُ دَارَهُ؟!

فَائِدَةُ الضَّمِيرِ ﴿هُمْ﴾:

أتى البيانُ القرآنيُّ بضميرِ الْفَصْلِ ﴿هُمْ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾؛ لِإِفَادَةِ التَّأَكُّيدِ وَالْحَصْرِ وَالتَّخْصِصِ، أَي: لِبَيَانِ قَصْرِ الْخُلُودِ فِيهَا عَلَيْهِمْ، وَاخْتِصَاصِهِمْ وَحَدَهُمْ بِهَذَا الْمَقَامِ الْكَرِيمِ دُونَ غَيْرِهِمْ، فَالَّذِينَ أَحْسَنُوا هُمُ الْخَالِدُونَ فِي الْجَنَّةِ لَا غَيْرُهُمْ، وَفِي هَذَا تَكْرِيمٌ لَهُمْ بِمَا خَصَّهِمْ بِهِ

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3696، وعبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 8/10.

(2) ابن عطية، للحزر الوجيز: 3/116.

أَصْحَابُ
الْجَنَّةِ هُمْ مَنِ
اسْتَحَقُّوْهَا
وَاسْتَحَقُّوا
التَّصَرُّفَ فِيهَا

الْجَنَّةُ مَعْهُودَةٌ
مَعْرُوفَةٌ
لِلْمُحْسِنِينَ،
فَهُمْ أَصْحَابُهَا

تَخْصِصُ
الْخُلُودِ فِي الْجَنَّةِ
بِالْمُحْسِنِينَ
تَكْرِيمٌ وَتَشْرِيفٌ
لَهُمْ

رُبُّهُمْ مِنَ الْخُلُودِ فِي جَنَّتِهِ، وفي الآية ما يُفيد المبالغة في تشريفهم أيّ مبالغةٍ، إذ أشار إليهم بـ ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: العالو الرُّتبة، وأنَّهم ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ أي: سكانُها، ولَمَّا كانتِ الصُّحبة جديرةً بالملازمة، صرَّحَ بها في قوله: ﴿هُمْ﴾، أي: هم الخالدون لا غيرُهم⁽¹⁾، وأيضًا: تقديم ﴿فِيهَا﴾ أي: في الجنة لا يدخلون غيرها.

بلادة تقديم الجار والمجرور ﴿فِيهَا﴾: على متعلقه: ﴿خَلِدُونَ﴾:

قدَّم البيانُ القرآنيُّ الجارَ والمجرورَ ﴿فِيهَا﴾ على متعلقه: ﴿خَلِدُونَ﴾ في قوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ﴾؛ لإفادة القصر والاختصاص، أي: إفادة اختصاص خلودهم في الجنة لا في غيرها، وللتنبية على الاهتمام بـ ﴿فِيهَا﴾، أي: في الجنة، وأنَّ خلودهم كائنٌ في الجنة، لا يُخرجون منها، ولا ينقطع نعيمها؛ إذ لا نعيمَ بالخلود لأهل الجنة إلا في الجنة.

وجه التعبير عن الخلود باسم الفاعل مجموعًا:

أتى البيانُ القرآنيُّ بلفظ: ﴿خَلِدُونَ﴾ بصيغة اسمِ الفاعل المفيد للثبوت والدوام؛ للإيدان بأنَّ خلودَ الذين أحسنوا في الجنة ثابتٌ دائمٌ، ومُلازمٌ لهم، وفي تأكيدِ خلودهم في الجنة مزيدٌ من السَّعادة لهم، إذ لا خوفٌ لديهم من زوالِ هذا النعيمِ الذي هم فيه، فالجنة دائمةٌ آمنةٌ من الانقطاع لا تبيدُ فيخافوا زوالَ نعيمهم، ولا هم بمخرجين منها، فتُنغصَّ عليهم لذاتهم⁽²⁾، لأنَّ "النعيم لا يَتِمُّ إلا بالدوام بالأمن من المضار"⁽³⁾.

وعبرَ باسمِ الفاعل: ﴿خَلِدُونَ﴾ بصيغة الجمع؛ لموافقة نظم الآية، إذ جاءت مفرداتها بصيغة الجمع: ﴿لِلَّذِينَ﴾، ﴿أَحْسَنُوا﴾،

خلودُ المحسنين
هو في الجنة لا
يخرجون منها

الخلودُ الدائمُ
والثابتُ لأهل
الجنة من كمال
سعادتهم

وافق نظم الآية،
وراعى فاصلتها

(1) البقاعي، نظم الدرر: 9/105.

(2) للراعي، تفسير الراعي: 11/95.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 9/105.

﴿وُجُوهُهُمْ﴾، ﴿أُولَئِكَ﴾، ﴿هُمْ﴾، ﴿أَصْحَابُ﴾، فاجتماعهم مبعثُ هناءِ العيش وأنسِهِ، وفي التعبير بصيغة اسم الفاعل والجمع أيضاً مراعاةً للفاصلة القرآنيّة الغالبة في آيات السّورة.

بلاغة الفُصل في جملة الفاصلة:

الحسنون
استحقّوا
الخلود في الجنّة
لأجل إحسانهم

فَصَلَّ البَيَانُ القرآنيُّ جملة ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، ولم توصَل بما قبلها بحرف عطف؛ لأنّها جاءت نتيجةً للمُقَدِّمة، فبينها وبين التي قبلها كمالُ الاتِّصال، ولذلك فُصِّلَتْ عنها ولم تُعْطَف، واسمُ الإشارة يَرْجِعُ إلى (الذين أحسنوا)، وفيه تنبيهٌ على أنّهم استحقّوا الخلود لأجل إحسانهم⁽¹⁾، وهذا التّذييلُ قُصِدَ به تأكيدُ مدحِهِمْ ومَسَرَّتِهِمْ⁽²⁾.

بلاغة حُشدِ المؤكّدات في جملة الفاصلة:

تأكيد
استحقاقهم
للجنة
وخلودهم فيها،
يعطيهم مزيداً
مِن السّعادة
فوق سعادتهم

أَكَّدَ ﷻ قوله: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ بِعِدَّةِ مُؤَكَّداتٍ؛ أوّلُها: الجملة الاسميّة؛ لأنّها تدلُّ على الثّبات والاستمرار، وقوّة الحُكم وبقائه. وثانيها: تأكيدُ الملازمة بينهم وبين الجنّة، من خلال التّعبير بلفظ ﴿أَصْحَابُ﴾ الذي يدلُّ على أنّهم ملازمون لها. وثالثها: ضمير الفَصْلِ ﴿هُمْ﴾ الذي يدلُّ على القَصَر، ويؤكد أنّهم هم الخالدون فيها دون غيرهم. ورابعها: تقديمُ الجار والمجرور ﴿فِيهَا﴾ على متعلّقه ﴿خَالِدُونَ﴾ الذي أفاد القَصَرَ، وأكّد أنّهم خالدون فيها لا في غيرها. وخامسها: التّعبير باسم الفاعل ﴿خَالِدُونَ﴾ الذي أكّد دوامَ خلودِهِمْ فيها، وثباته.

وكلُّ هذه المؤكّدات مجتمعةً أفادتِ المبالغة في تأكيد استحقاقهم للجنّة، وأنّهم خالدون فيها لا يُفارقونها، وأنّ نعيمها ثابتٌ دائمٌ لا ينقضي ولا يَنْصُبُ، وفي هذا مَزِيدٌ مِنَ السّعادة

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/147.

(2) طنطاوي، التّفسير الوسيط: 7/59.

وَالطُّمَأْنِينَةَ لِأَصْحَابِ الْجَنَّةِ، علاوة على نعيمهم فيها فضلاً منه وإحساناً سبحانه.

❖ الفروق المعجمية:

الرَّهَقُ، والقَتَرُ، والتَّعَبُ، والنَّصَبُ، واللُّغُوبُ:

تتداخل معاني هذه الألفاظ في اللغة، وتتقارب في دلالتها، وجميعها فيها معنى المشقة والكلفة والإعياء؛ كما أنَّ بعض هذه الألفاظ قد فسرت ببعضها الآخر:

و(الرَّهَقُ) في اللغة: غَشْيَانُ الشَّيْءِ الشَّيْءَ، وهو غَشْيَانُ بَقَهْرٍ، وذلك بأنَّ تَحْمِلَ الْإِنْسَانَ عَلَى مَا لَا يَطِيقُهُ⁽¹⁾.

و(القَتَرُ): لَوْنٌ غَبَرَةٌ فِيهَا سَوَادٌ، يَغْشَى جِلْدَةَ الْوَجْهِ مِنْ شِدَّةِ الْبُؤْسِ وَالشَّقَاءِ وَالْخَوْفِ، وَهُوَ مِنْ آثَارِ تَهْيِجِ الْكَبَدِ مِنْ ارْتِجَافِ الْفَوَادِ خَوْفًا وَتَوْقُعًا⁽²⁾.

و(التَّعَبُ): الْإِعْيَاءُ وَشِدَّةُ الْعَنَاءِ، وَفِيهِ مَشَقَّةٌ وَجَهْدٌ، يُقَالُ: اتَّعَبَ فُلَانٌ نَفْسَهُ فِي عَمَلٍ يَمَارِسُهُ، إِذَا أَنْصَبَهَا فِيمَا حَمَلَهَا وَأَعَمَّلَهَا فِيهِ⁽³⁾.

و(النَّصَبُ) فِي اللُّغَةِ: الْعَنَاءُ، مَأْخُوذٌ مِنَ الْإِنْتِصَابِ، وَكَأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَزَالُ مُنْتَصِبًا حَتَّى يَصِيبَهُ الْإِعْيَاءُ، وَالنُّصَبُ: الْبَلَاءُ وَالشَّرُّ وَالتَّعَبُ، وَقِيلَ: النَّصَبُ: التَّعَبُ فِي الْبَدَنِ⁽⁴⁾.

و(اللُّغُوبُ): يَدُلُّ عَلَى ضَعْفٍ وَتَعَبٍ، وَاللُّغُوبُ: التَّعَبُ وَالْإِعْيَاءُ وَالنُّصَبُ⁽⁵⁾.

الخلاصة: أَنَّ هُنَاكَ فُرُوقًا دَلَالِيَّةً دَقِيقَةً بَيْنَ هَذِهِ الْأَلْفَافِ، بَيَانُهَا

فِي الْآتِي:

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزَّاعِبُ، المفردات: (رهق)، والفِرُوزَابَادِيُّ، بصائر ذوي التَّمييز: 3/101.

(2) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 11/147.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والأُزْهَرِيُّ، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (تعَب).

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزَّاعِبُ، المفردات: (نصب)، والفِرُوزَابَادِيُّ، بصائر ذوي التَّمييز: 5/61.

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزَّاعِبُ، المفردات: (لغب)، والفِرُوزَابَادِيُّ، بصائر ذوي التَّمييز: 4/434.

التَّعَبُ نَتِيجَةُ
حَتْمِيَّةٍ لِلرَّهَقِ
وَالنَّصَبِ
وَاللُّغُوبِ

الْفَرْقُ بَيْنَ الرَّهَقِ وَالتَّعَبِ: الرَّهَقُ لَا يَكُونُ بِإِرَادَةِ الشَّخْصِ الْمُرْهَقِ، وَلَا بَدًّا مِنْ جِهَةٍ خَارِجَةٍ عَنْهُ، إِذْ هُوَ حَمْلُ الْإِنْسَانِ عَلَى مَا لَا يُطِيقُ، وَهُوَ غَشْيَانٌ بِقَهَرٍ، كَمَا أَنَّ الرَّهَقَ يُسَبِّبُ التَّعَبَ، أَيُّ: يَحْصُلُ التَّعَبُ نَتِيجَةً لِلرَّهَقِ.

فِي حِينَ أَنَّ التَّعَبَ أَعْمُ مِنَ الرَّهَقِ؛ إِذْ قَدْ يَكُونُ بِإِرَادَةِ الشَّخْصِ، فَيُحْمَلُ نَفْسَهُ مَا لَا يُطِيقُ، فَيَحْصُلُ التَّعَبُ، كَمَا أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ بِأَسْبَابٍ أُخْرَى غَيْرِ تَحْمُلٍ مَا لَا يُطِيقُ، إِذْ قَدْ يَكُونُ بِسَبَبِ مَرَضٍ أَوْ مَشَقَّةٍ أَوْ جَهْدٍ مُتَوَاصِلٍ، أَوْ أَيِّ شَيْءٍ يُسَبِّبُ التَّعَبَ.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ النَّصَبِ وَاللُّغُوبِ: أَنَّ النَّصَبَ: التَّعَبَ وَالْإِعْيَاءَ وَالْمَشَقَّةَ الَّتِي تُصِيبُ الْمُنْتَصِبَ الْمَزَاوِلَ لَهُ، وَأَمَّا اللُّغُوبُ: فَهُوَ مَا يَلْحَقُهُ مِنَ الْفُتُورِ بِسَبَبِ النَّصَبِ، فَالنَّصَبُ نَفْسُ الْمَشَقَّةِ وَالْكُلْفَةِ، وَاللُّغُوبُ نَتِيجَتُهُ، وَمَا يَحْدُثُ مِنْهُ مِنَ الْكَلَالِ وَالْفَتْرَةِ⁽¹⁾، وَقِيلَ: النَّصَبُ تَعَبُ الْبَدَنِ، فَهُوَ تَعَبٌ جِسْمَانِيٌّ، وَاللُّغُوبُ تَعَبُ النَّفْسِ، فَهُوَ تَعَبٌ نَفْسَانِيٌّ⁽²⁾.

وَلَمَّا كَانَ الرَّهَقُ غَشْيَانًا بِقَهَرٍ، وَأَنَّ الْقَتْرَ لَوْنٌ غَبَرَةٌ فِيهَا سَوَادٌ يَغْشَى جِلْدَ الْوَجْهِ؛ جَمَعَ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ لَخْصُوصِ دَلَالَتِهِمَا وَمُنَاسِبَتِهِمَا وَصَفًا لِلْوَجْهِ؛ فَحَالُ وَجْهِهِمْ مَنَفِيٌّ عَنْهَا غَشْيَانٌ غَبَرَةٌ وَسَوَادٌ، تُظْهِرُ سُوءَ عَاقِبَتِهِمْ.

(1) الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ: 3/614.

(2) الرَّيْدِيُّ، تَاجُ الْعُرُوسِ: (لُغْب).

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75 [إشراف مجمع

القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 19، 804 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-768-16-6

يشتمل على ارجاعات ببلليوجرافية.

مج. 19: المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-768-16-6

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-6365726 بتاريخ 2024/02/07م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»